ذكرته لك يا سيدي يكون لي أجا خوفي منك شيئا فانظر كيف أخرجه إبليس
من صدقة السر وأوقعه في تزكية نفسه ودعوى أنه لا يخفى على
شيء من أحواله ولو أني قلت له أعلمني بعدد ما عندك من الدنيا
ما سمح بذلك فوالله لقد سار الصدق أعز من الكبريت الأحمر ولو أنه
كان داخل طريق الفقراء من بابها على يد شيخ لصار دخوله النار
أهون عليه من إظهار ما أمره الله بكتمه ❊ قلت وقد بلغنا
أن شخصا صام أربعين سنة لا يشعر به أحد فلم يزل به إبليس حتى
أوقعه في التحدث بها وذلك أن إبليس جاء إلى القصاب
في هيئة فقير وفي عنقه سبحة وعلى كتفه سجادة وهو يقول
للجزار أعطني هذه القطعة اللحم المليحة الآن لي ثلاثة
أيام صائم فلا زال يكرر ذلك حتى تحرك في قلب ذلك العابد
داعية إظهار صومه وقال لكم سبحانك أفضل ذلك فأني صائم
أربعين سنة ما شعر بذلك أحد فقال له إبليس أنا إبليس
وما لي حاجة باللحم الأخير وقصدي في إظهار صيامك ثم قال
له إبليس كيف تقول لي أكم صومك فإنه أفضل وتقع أنت
في إظهاره فندم العابد وفاته إبليس ❊ واعلم أنني ما رأيت
في عمري كله أكثر صدقة سرا من شيخنا شيخ الإسلام زكريا شارح
البهجة والشيخ شهاب الدين الشلبي الحنفي لا تكاد تجد منهما
يظهران شيئا من صدقتهما ❊ وقد جاء شخص من الأشراف
إلى شيخنا الشيخ زكريا وقال له يا سيدي قد خطفوا عمامتي
الليلة فأعطني ثمن عمامة فأعطاه فلسا فرده الشريف
فأخذه الشيخ فقلت له إن الفلس لا يكفي في مثل ذلك
فقال الذنب له الذي جاء بحضرة الناس وقد رغبني الله تعالى
في الإسرار بالصدقة فلا أظهر ذلك لأحد من الخلق ولو أنه جاء
من غير أن يكون عندي أحد لأعطيته ثمن العمامة وأكثر لأجل جده
صلى الله عليه وسلم ثم لحقت الشريف بعد ذلك فأخبرته بما قال
الشيخ فقال لي أرسل لي الشيخ عمامة من الليل وها هي على رأسي
وكذلك بلغنا عن سيدي علي النبتيتي من الرجال أنه كان يرسل
كل سنة المائة جمل قمح وأرز وغير ذلك إلى مكة في البحر ويسافر
هو في البر مع الحجاج ثم يجلس بجميعها في المسعى ويخبر بالسعر الغالي
زيادة على الناس وينظر وكل من اشترى منه بالزيادة على السعر
يعرف أنه مضطر فيعطيه ما اشتراه بلا ثمن ويأمره بالكتمان
فعلم بذلك غالب أهل مكة وكان يعطيهم كذلك حتى أنه لم ير
درهما واحدا في بعض السنين فقيل له إن كان ولا بد لك من
العطاء للناس بلا ثمن متصدقا به فقال البيع أستر لنا

من الصدقة وكذلك كان يفعل في الثياب التي يعرف أنها بالمرهم
بالكتمان فيهما وكل من تكلم بذلك يرسل بالحط منه ويقول
يا ولدي غلطنا وإن الثوب يستحق غير ذلك حتى لا يصير يتكلم بعد
ذلك بشيء ❊ وكان أخي أفضل الدين رحمه الله يأخذ صدقات
أصحابه ويجمعها عنده للفقراء ويقول لهم إن جماعة من التجار
أرسلوا إلي على اسمكم شيئا من الذهب والفضة لأفرقه عليكم
ثم خلط على ذلك أضعافه ويفرقه عليهم بحيث لا يعلم أحد من الخلق
بذلك ولولا أني رأيته يفعل ذلك وهو لا يشعر بي ما أعلمني به
أحد وكان يعطي من لا يعرف حقا منه يتهمه بأنه أفلس من حال
الفقراء ليغنيه ويبعثه ذلك عنه فيحتشم ولا يحتج بعيشه
شيئا بعد ذلك ❊ هذه الأشياخ يا أخي قبلك ليفوز بمضاعفة
الأجر ورضى الرب والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين
وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا سبعة يظلهم الله في ظله
يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم ورجل تصدق بصدقة
فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ❊ وروى الترمذي
واللفظ له والبيهقي وغيرهما مرفوعا لما خلق الله الأرض
جعلت تميد فأرساها بالجبال فاستقرت فعجبت الملائكة من
شدة الجبال فقالت يا ربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال
قال نعم الحديد قالت فهل خلقت خلقا أشد من الحديد قال
النار فقالت فهل خلقت خلقا أشد من النار قال الماء قالت فهل خلقت
خلقا أشد من الماء قال الريح قالت فهل خلقت خلقا أشد من الريح
قال ابن آدم إذا تصدق بصدقة فأخفاها من شماله ❊ وروى
الطبراني بإسناد حسن مرفوعا صدقة السر تطفئ غضب الرب
وروى الإمام أحمد والطبراني مرفوعا أفضل الصدقة سر
إلى فقير أو جهد من مقل ثم قرأ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية ❊ وروى أبو داود
وابن خزيمة في صحيحه مرفوعا سبعة يحبهم الله فذكر منهم ورجل أتى
قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف
رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله الحديث
والله تعالى أعلم ❊ أخذ علينا العهد العام من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن نقرض كل من استقرضنا من المحتاجين
سواء كان مشهورا بحسن المعاملة أم لا امتثالا لقول الله عز وجل
وأقرضوا الله قرضا حسنا ومن أقرض الله تعالى لا يطلب جزاء
من الخلق ❊ واعلم يا أخي أن الله تعالى لم يأمر بالقرض إلا
الأغنياء منهم الذين جاوزوا بلوغ خطاب الله بقوله لهم وأقرضوا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)